ما تقوله الرسالة إلى أهل رومية ٦:١-٧ عن

المعمودية و«جِدّة الحياة»

تأليف: دڤيد روپر

لكي نفهم ما ورد في رومية ٦: ١-٧ لا بد أن نفهم ما كان يفكر به بولس مما جعله يكتب هذه الأيات. في الأصحاحات من ١ إلى ٣ كان بولس يتحدث عن حالة الأمم واليهود بدون المسيح.

كان الأمم منهمكين في كل أنواع حياة الإثم والخطيئة التي كانت أغلبها منفرة عند اليهود. لقد كانوا عبدة أوثان وزناة و{مملوئين} إثم (رومية ١: ٢٤-٣٢).

لم يكن اليهود أفضل من الأمم بكثير لأنهم شاركوا في بعض من هذه الممارسات عينها (٢: ١). من أجل حالتهم الروحية اعتمدوا على الحقيقة أن لديهم الناموس وهم مختونين (٢: ١٧ و٢٥). إذ كانوا منافقين لم يعيشوا حسب معيار الناموس أو حسب ما يعنيه الختان. لقد كانوا خطاة مثلهم مثل الأمم (٣: ٩ ، ١٠ ، ٢٣).

بدلاً من أن تخلصهم أعمالهم، أدانتهم (٢: ٥-١٣). لا يمكن للأمم ولا اليهود أن يخلصوا بأعمالهم، لأنهم جميعاً خطاة (٣: ٩ ، ١٠ ، ٢٣) لم تكن أعمالهم كاملة. بدلاً من الاعتماد على أعمالهم (٤: ١-٨) التي كانت مليئة بالشر، وجب أن يؤمنوا بأعمال يسوع الذي جعل نعمة الله متاحة لخلاصهم (٥: ١ و٢).

لم يوفر الناموس النعمة؛ وإنما ترك الذين كانوا تحته في خطاياهم (٣: ٢٠؛ ٥: ٢٠ و٢١). لم تكن حالة الأمم أفضل، لأنهم كانوا خطاة بالحقيقة انتهكوا معرفة مشيئة الله التي حصلوا عليها بواسطة العملية الطبيعية لما يشهده الإنسان ويختبره (١: ٢١؛ ٢: ١٤ و١٥). لم يكن الأمم واليهود أبراراً؛ كلهم انتهكوا المعيار الذي عاشوا تحته. لكي يجعل الله الغفران أمراً ممكناً وفر النعمة بيسوع ليأتي بالبر والغفران ليستر خطاياهم وتعدياتهم (٥: ٢٠ و٢١).

«أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟» (٦: ١)

ربما تسائل الذين حصلوا على الغُفران: «أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة؟» (رومية ٦: ١). قد يُقارن هذا مع قصة عروسة شابة قال لها عمها الغني بانها إذا واجهت هي وزوجها أي صعوبات مادية فانه سيدفع ديونهما. فشاورت زوجها واستخلصت بانه لا يجب عليهما أن يهتما بالأمور المادية، بل أن ينفقا كما يحلو لهما دون ان يهتما بما قد تكون العواقب - سيارة غالية الثمن، بيتاً جديداً، وملابس غالية الثمن، ومجوهرات؛ علماً بانه إذا تراكمت الديون سيقوم العم بتسديدها، مستغلان بذلك نيته الحسنة وكرمه.

هكذا وبطريقة مشابهة وعد الله بان نعمته ستستر خطايانا، ولكنه لا يقصد بها أن يشجعنا على أن نحيا حياة الفسق. فهذا ليس القصد من النعمة. علم بولس بان المشاركة الروحية الحقيقية في المعمودية يجب أن تخلق طبيعة جديدة. ينبغي أن يكون المسيحي مكرس لحياة جديدة ليسوع؛ لا يستمر في الخطيئة بسبب اعتماده على النعمة.

«اعتمدنا لموته» (٦: ٣ و٤)

المعمودية والحياة الجديدة

قد يظن البعض بطريقة غريبة أن اختيار بولس للمعمودية كي يبني عليها دعواه هو إساءة للنعمة (رومية ٦: ١-٧). لو كانت المعمودية مجرد شعائر من غير ارتباطات روحية، لا يمكن الادلاء بحجة من المعمودية لوضع نهاية لحياة الخطيئة. ولكن إذا كانت المعمودية تشمل خبرة روحية تغير الحياة أكثر من مجرد عمل جسدي لإطاعة الله، تكون حجة بولس القائلة بان حياة جديدة يجب أن تتبع

المعمودية هي حجة سارية المفعول- وهكذا هي.

في المعمودية نشارك يسوع إذ نعتمد لموته(رومية ٦: ٣). وضع يسوع بموته على الصليب نهاية لحياته الجسدية - ليدخل من جديد في حياة جسدية. يجب أن تكون المعمودية بالمفهوم الروحي اللحظة والعمل الذي فيه يجب أن تنتهي حياة الخطية الماضية ونبدأ حياة روحية جديدة. كان ما اوصى اليه بولس هو أنه بدلاً من الدخول جسدياً في الماء فقط كشخص خاطيء، يجب أن نموت عن حياة الخطيئة القديمة وندخل في حياة روحية جديدة لأننا في رفقة مع المسيح في موته وقيامته.

كان بولس يعتبر المعمودية أكثر من مجرد عمل رمزي. كتب دوغلاس موو ما يلي:

> لا يوجد دليل في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية ولا في أي مكان آخر في العهد الجديد بان لحركات الجسم عند التغطيس في الماء والصعود منه أثناء المعمودية أهمية رمزية. التركيز في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية ليس على شعائر المعمودية بل على حدث المعمودية البسيط.

وافق أندرس نيغرن على ذلك، إذ كتب قائلا:

> عندما يغطس الذي يعتمد في الماء، يدل هذا العمل على الدفن «مع المسيح»؛ وعندما يصعد من الماء يدل ذلك على القيامة «مع المسيح». ولكن يكون هناك سوء تفسير بالغ إذا كان على الشخص أن يصف وجهة نظر بولس للمعمودية بانها «رمزية» بالمفهوم الذي يُستخدم به هذه الكلمة بصفة عامة. لأنه كما قال بولس يجب أن نتعامل بالحقائق في المعمودية وليس بالتمثيل الرمزي فقط. ما ترمز له المعمودية يحدث بالفعل وبالدقة من خلال المعمودية.

إذن، المعمودية تدخلنا في المسيح وفي الموت المرافق لموته.

ثلاثة أسئلة عن الحياة الجديدة

يطرح بولس ثلاثة أسئلة متتالية في الرسالة إلى أهل رومية ٦: ١-٣ ، (١) «أنبقى في الخطيئة لكي تكثر النعمة؟» (آية ١)؛ (٢) «نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟» (آية ٢)؛ (٣) «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؟» (آية ٣).

أجاب بولس على السؤال الأول بهذه الطريقة: «حاشا!» استخدام هذه الصيغة يدل على انه لا يجب على المسيحيين أبداً الاستمرار في الخطية ويتوقعوا أن تستر النعمة خطاياهم. كان سؤال بولس هو سؤال بياني[1]؛ لم يعني بانهم لا يعرفون الإجابة لهذا يريد أن ينورهم. وإنما كان يشدد على انه ينبغي لهم أن يفهموا ما كان يقوله لهم بسبب ما اختبروه في المعمودية.

السؤال الثاني الذي طرحه بولس يشير بذاته إلى الإجابة. إن كنا قد متنا عن الخطية فلا يجب أن نعيش بعد فيها.

عند الإجابة على السؤال الثالث قال بولس بان موتنا عن الخطية حدث عندما دخلنا في موته (بالمعمودية اتحاداً مع يسوع). بما اننا قد قمنا من ذلك الموت يجب أن نسلك في جدة الحياة إذ تحررنا من أعمال الخطية.

قصد بولس بـ«متنا» (الآيتين ٢ و٨) و«مات» (آية ٧) و«أمواتاً» (آية ١١) و«الأموات» (آية ١٣) بانه يجب ان تكون النتيجة هي انتهاء ماضينا الخاطي. بالعبارة «متنا عن» و«أمواتاً عن» كان بولس يعبر عن الفكرة أن قوة الخطية التي كانت تسيطر علينا سابقاً (رومية ٧: ٤؛ غلاطية ٢: ١٩؛ كولوسي ٢: ٢٠؛ ٣: ٣-٥؛ ١ بطرس ٢: ٢٤) يجب أن تختفي. لقد «متنا عن الخطية» هكذا كتب بولس في الآية ٢. «متى وكيف حدث ذلك؟ حدث عند المعمودية وبها، كما قال الرسول» (مقتبس من أندرس نيغرن).

القصد من موتنا عن الخطيئة هو لكي ننهي حياة الخطيئة ونبدأ حياة جديدة، أي حياة البر (رومية ٦: ٤). نشترك في شبه موت

---

[1] السؤال البياني، ويسمى أيضاً بالسؤال البلاغي: هو سؤال ليس القصد منه الحصول على إجابة، بل للتأثير في النفوس.

يسوع وقيامته بالمفهوم الروحي عندما نعتمد. يجب أن ندخل في تجديد روحي بالمعمودية كما دخل يسوع في تجديد جسدي بقيامته. (رومية ٦: ٥). يحدث هذا التغيير عند المعمودية «إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية لكي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية» (رومية ٦: ٦). لم يقصد بولس بان نتخلى عن جزء فقط من الطبيعة العتيقة، بل يجب أن نصلب الإنسان القديم بكامله مع المسيح. ويجب أن تكون النتيجة: تحرير من الخطيئة (رومية ٦: ٧). عندما نصير أمواتاً عن الخطيئة نتحرر من عبودية الخطيئة وتسيدها وممارستها. يجب أن يحدث كل هذا بسبب مشاركتنا الروحية مع يسوع عند دفننا وقيامتنا معه في المعمودية.

لا يحدث الموت عن الخطيئة والحياة للبر بسبب عملية المعمودية بحد ذاتها، بل بسبب إستجابة القلب المصاحبة لتلك العملية. «فشكراً لله انكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر» (رومية ٦: ١٧ و١٨).

«لا نعود نستعبد أيضاً للخطية» (رومية ٦: ٦ و٧)

لم يكن بولس يتحدث عن التحرير من الخطيئة بمفهوم الغفران مع أن هذا من إحدى البركات المرتبطة بالمعمودية (أعمال ٢: ٣٨؛ ٢٢: ١٦). كان هدفه في رومية ٦: ١-٤ هو لتبين انه بسبب تحريرنا من سيطرة الخطيئة وعبوديتها، لا ينبغي أن نستمر في ممارسات الخطيئة ونتوكل على نعمة الله لتغفر لنا. انه لم يقل أن الحياة في الخطيئة مستحيلة للمسيحيين، بل قال أن ارتكاب الخطيئة يتعارض مع حياتنا الجديدة وحريتنا الجديدة من الخطيئة. يجب أن نحياة حياة جديدة لأننا قد متنا مع يسوع عن الخطيئة ودخلنا حياة جديدة بالمعمودية. ينبغي صلب الإنسان العتيق؛ والتخلي عن جسد الخطيئة، ولا يجب بعد أن نخدم الخطيئة (رومية ٦: ٦).

من أجل هذا يجب أن نعتبر أنفسنا «أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رومية ٦: ١١). لا يجب أن نسمح للخطيئة بأن تتسيد على أجسادنا إلى حد نطيع فيه الخطيئة ونصير عبيداً لها (رومية ٦: ١٢).

إن كنا نحيا في الخطيئة نصير عبيداً للخطيئة (رومية ٦: ١٦). يجب أن نكون عبيداً للبر لأننا قد تحررنا من عبودية وسيادة الخطيئة (رومية ٦: ١٣، ١٦، ١٩، ٢٢). الحقيقة أننا تحت فوائد النعمة الغفارة ولسنا تحت الناموس (رومية ٦: ١٥) قد تحررنا من الخطيئة، ولكننا لم نتحرر لكي نخطيء. الخطيئة تستعبد، انها لا تعطي حرية (يوحنا ٨: ٣٤). لهذا السبب لا يجب أن نخطيء بعد، بل أن نبقى أمواتاً عن الخطيئة وأحياء للبر. قد تحررنا من الخطيئة لأننا أطعنا من القلب عندما اعتمدنا (رومية ٦: ٤-٦، ١٧، ١٨).

الخلاصة

في هذا النص جعل بولس المعمودية نقطة محورية فيها تنتهي حياتنا القديمة ونبدأ حياة جديدة. ويحدث هذا بسبب المشاركة من القلب بواسطة الدفن والقيامة مع يسوع. عملية المعمودية بحد ذاتها لا تأتي بالضرورة بهذا التغيير. ولكن عندما نشترك روحياً بدفن يسوع وقيامته في عملية المعمودية وعالمين أنه يجب أن يحدث هذا التغيير، ستنتهي الحياة القديمة وتبدأ حياة جديدة.

دُفن وأُقيم (رومية ٦: ٤)

ما هي مضامين الدفن والقيامة مع يسوع في المعمودية؟ تتم عملية المعمودية عندما نُضع تحت الماء ونُصعد من الماء. يتفق معظم الكُتَّاب مع التفسير الذي كتبه إفرت هاريسون: «يتضح أن {بولس} في الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية يتصور الدفن مع المسيح، ولكن مؤقتاً، وذلك في تغطيس الجسد تحت ماء المعمودية».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧